الموضع بزيادة وهو ان الله تعالى اوحى اليها اني مكلم عليك وهذا يدل على حلول الحياء والفهم
والرفعة والتواضع والاختيار بالارادة وهذا يدل لذا صح نقله على خرق العادة والله الموفق
قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت احمد بن علي بن جعفر يقول
سمعت ابراهيم ابن فاتك يقول سئل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب
قال الشارح رضي الله عنه وهذا قريب جدا من حقيقة التواضع فان من خفض جناحه للخلق
قربوا منه واستنفعوا به في سائر ما امكنه وكذلك اذا لان جانبه فان اوذي بادره حلما وان قوبل
عما يكره احتمل فلا يواخذ غيره بحق ويحمل ما يرد من غيره من الجفا ويشفع بما يعتذر عليه ارباب
الحوائج وهذا كله لا ينتج الا لمن كملت معرفته بنفسه وبجلال ربه وكمال حقه عليه وسلوكه
طلبه لما يرضيه عنه فيما بينه وبينه وبين خلقه فلا تراه في سائر حركاته الا موزونا ولا في سائر كلماته
الا محفوظا من الزلل مصونا قال الامام رضي الله عنه وقال وهب مكتوب في بعض ما انزل الله
تعالى من الكتب اني اخرجت الذر من صلب ادم فلم اجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى فلذلك
اصطفيته وكلمته قال الشارح رضي الله عنه وهذا ان تعلق الله غايته في التحضيض لبني اسرائيل
على التواضع والتذلل لمولاهم فانه تعالى اخبرهم اني ما ميزت موسى عنكم واختصصته بكلامي
الا لما اختص به من كمال تواضعه وهذا وفقك الله ينبغي ان يتفطن له وذلك لان تواضع موسى
وغيره مما اختص الله به سائر الانبيا وهو من فعل الله تعالى فيهم وخلقه لهم وهو الذي خصهم
بالاسباب وتفضل عليهم بترتيب المسببات عليها وكل ذلك فضله عليهم اذ لا فعل لغيره
وانما جرى هذا مجرى التنبيه على تعاطي الاسباب الماثورة والمحثوث عليها فانه تعالى
رتب المسببات عليها سبحانه وتعالى عما يشركون قال الامام رضي الله عنه وقال ابن المبارك
التكبر على الاغنيا والتواضع للفقرا من التواضع قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك
الله ليس على ظاهره فان المتكبر مذموم على كل احد فقيرا كان او غنيا فانه محرم والتواضع
محمود اذا كان لله لكل شخص وليس بمذموم وربما راى هذا من يتواضع للاغنيا لاجل
دنياهم فيزعم انه متواضع تواضعا محمودا وربما تواضع للفقرا النفاقا فقال له وضع
الاشيا مواضعها على الاطلاق لله هو من التواضع فتواضعك للاغنيا لاجل دنياهم
ليس بمحمود وتواضعك للفقرا طلبا لاجل فقرهم ليس بمحمود والمحمود تواضعك للحق
وقبولك له من اي قابل كان غنيا كان او فقيرا هذا امر التواضع المحمود قال الامام رضي الله
عنه وقيل لابي يزيد متى يكون الرجل متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى في
الخلق من هو شر منه قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله اشارة الى العلا
بما فاته الاعراض عن النفس وانما يصح ذلك بكمال الاشتغال بالله تعالى ورؤية جلاله وعظمته
ودوام ذكره ومناجاته حتى يستغرق في ذلك حتى يغيب عن ذكره متعددا لجميع المخلوقات ثم

يغيب

يغيب عن نفسه فبهذا الاعتبار كان كمال التواضع ان لا يرى لنفسه قدرا واذا لم يرى لها قدرا
استحال ان يفضلها على غيرها من الخلق فبين هذا مع ادراكه لعجز نفسه وصغر قدرها فانما
اذا استولى عليه سلطان الحقيقة حتى ينسى نفسه فلا خبر ولا اثر رضي الله عنه فالتواضع
الكامل ان يصل العبد الى هذه الحالة وهو لا ينكر ما قبله من درجات التواضع قال الامام
رضي الله عنه وقيل التواضع نعمة لا يحسد عليها والكبر محنة لا يرحم عليها والعز في التواضع
فمن طلبه في الكبر لم يجده قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان التواضع كما قررناه
من النعم الغالبة على العبد لما يترتب عليه في الدنيا والاخرة وليس كل احد من الناس يعرف نعمة
التواضع بل التواضع عند اكثر الناس مذلة وقلة همة فلا يحسد احد عليها فان الحسد
لا يكون الا على النعم والتواضع لا يعرف كونه نعمة كثير من الناس فهي نعمة لا يحسد عليها والكبر
خلق مذموم ومعصية لله تعالى فهي على هذا امر محنة وبلية لا يرحم عليها فهو في اعين العباد
الجهال في شرف ورفعة ولا يترحمون عليه ولا يشفقون فان الرحمة والشفقة انما تكون
على المصاب المبتلى وليس كل الناس يعرف ان الكبر بلا لا زائرة في الاخرة فلا يعرف كونه
بلا الا ابنا الاخرة قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت
ابا بكر محمد بن عبد الله يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول الشرف في التواضع والعز
في التقوى والحرية في القناعة قال الشارح رضي الله عنه متى تواضع العبد لله
تعالى وان كان رجلا جليل القدر وعلم الناس قلبه ذلك احبه لكونه عرف العبودية مع كمال
اسباغ النعم ويعضد هذا ما حكي عن بعض الناس اراد ان يشتري مملوكا فطلب
صاحبه فيه ثمنا عظيما فتوقف المشتري عنه لكثرة ثمنه فقال له يا سيدي ان لي كذا وكذا
خصلة ايسرها افضل من هذا الثمن الذي طلبه هذا السيد فقال له وما هي قال اذا مكنتني
من جميع اموالك وجعلت لي النظر على جميع حشمك وعيالك لم اغلط في نفسي وعلمت اني
عبدك وكذا من يمكنه الله تعالى من العلوم والاعمال وتفضل عليه باشرف الاحوال
ولا يغلط في نفسه ولم ير نفسه اهلا لما من الله عليه به ورأى فضله عليه في سائر
ما هو فيه ارتفعت درجته عنده واوقع له المحبة في قلوب خلقه فاعززه
وهذا المفهوم من قوله من تواضع لله رفعه الله ولذلك العز فان التقوى تشمل سائر
الواجبات والمندوبات وقد جاء في الخبر الصحيح ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما
افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث ومن احبه الله
حفظه في سائر اعضائه واستجاب دعاءه فهو العزيز الرفيع المنزلة عند الله ومن رزق
القناعة لم يتذلل للطمع ولم يدخل في تحصيل ما يحتاج اليه كل مدخل ولم يتذلل الانسان
ولم يتزاحم على الارزاق اذا داخل ذلك ويأس قال الامام عنه وسمعته يقول سمعت الحسن

بن علي

Copyright © King Saud University